ظ ر، ظ رت، ظ ي رت: دراسة لغوية ولهجية جديدة

زياد عبد الله طلافحه ، دائرة الآثار العامة

وردت المفردات *ظ ر، ظ رت*، و*ظ ي رت* في النقوش الصفائية[١] **(شكل ١)**. وأخذت تفسيرات وشروحات مختلفة. ونت وهاردخ وأوكستوبي رأوا أن كلمة *ظ ر، ظ ي ر* تعني "حجر صواني"[٢] وذلك بالرجوع إلى الأصل الثلاثي ظرر الذي يفيد معنى الحجر الحاد[٣]. ونت وهاردخ فسرا *ظ رت، ظ ي رت* بأنها حظيرة الحيوانات بالمقارنة مع كلمة سريانية مقابلة ورأيا كذلك أن المراد من هذه الكلمة شيء ذو مغزى أكثر منه أداة صوانية حادة[٤].

قد تصح هذه المعاني في بعض النقوش غير أن لمفردة ظ ر (أو ظ ي ر) في النقش٥ الذي سنعالجه لاحقا تفسير لغوي لهجي جديد يمكن ربطه بالبيئة البدوية فالظير والظيرة هي مفردات يعرفها أهل البادية وموجودة في لهجتهم وظأر أصل صحيح وبعني العطف (من عَطف) حيث تعطف الناقة أو الناقتان وأكثر من ذلك على فصيل واحد حتى ترأمه أي "تطلبه" الناقة التي لا أولاد لها. والتظير هو عملية إيهام الناقة وإرغامها بعملية فسيولوجية على قبول وليد آخر غير وليدها. وظيّرَت الناقة أي عَطفت على غير ولدها. ونخلص من ذلك أن الظيرة هي الناقة التي أخضعت للعملية السابقة. أما الأشكال الثلاث ظ ر، ظ ر ت، وظ ي ر ت فأرى أنها تقابل ظ ء ر وظ ء ر ت. فمن المعروف أن النقوش الصفائية في الغالب لا تعرف الياء ومد الألف والواو، في حين نجد أن بعض النقوش منها يبدل الهمزة بالياء فالكلمة هـ ن ء ت كتبت هـ ن ي ت٦. وكذلك سقوط الهمزة من بعض الكلمات، مثلا ظ م بمعنى "ظمأ"٧. وذلك كغيرها من اللهجات العربية القديمة، مثل لهجة كنانة ولهجات الحجاز وهذيل، ومن أمثلة ذلك قولهم: "قريت القرآن" و"خبيت المتاع"، فقد آثرت هذه القبائل قلب الهمزة إلى ياء، وفي اللهجات العربية الحديثة كقولهم: "أبديت" و"أبطيت" بدلا من "بدأت" و"أبطأت"٨. وقياسا على ذلك فأن لفظة ظئر وظأرت المعجمية هي ظير وظيرت اللهجية.

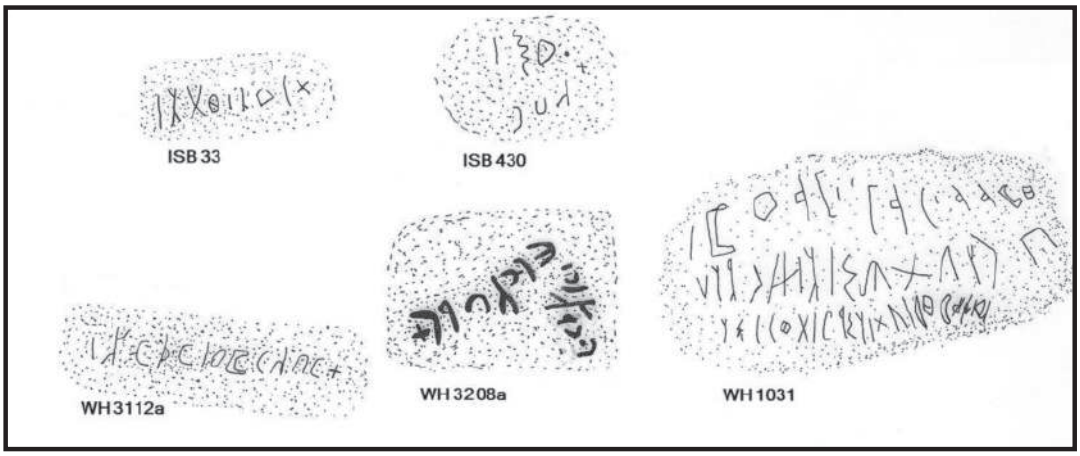

شكل ١. مجموعة النقوش التي ذكرت فيها ظ ر، ظ رت، ظ ي رت

١. (Winnet and Harding 1978)، نقش ١٠٣١ (موضوع البحث)؛ ٣٢٠٨أ: *ل ع ب د ء ل ب ن ح رس هـ ظ ي رت*: "لعبد إيل بن حرس الحظيرة"؛ ٣١١٢أ: *ل ء س د ب ن ح م ر هـ ظ رت*: "لأسد بن جامر الحظيرة"؛ (Oxtoby 1968)، نقش ٣٣: *ل ء خ و ن هـ ظ رت*: "لأخوان الأحجار الصوانية"؛ نقش ٤٣٠: *ل ش ج ع ت هـ ظ ر*"لشجعت الأحجار الصوانية".
٢. (Oxtoby 1968)، نقش ١٠٧، ص ٤٢.
٣. ابن منظور [١٩٥٥]، ج٤، ص ٥١٧.
٤. (Winnett and Harding 1978)، نقش ١٠٣١.
٥. (Winnet and Harding 1978)، نقش ١٠٣١.
٦. (Littmann 1943)، نقش ١٢٦٦.
٧. (Winnett 1957)، نقش ٩٩٧.
٨. الجندي ١٩٧٨، ج١، ص ٢٢٣.

كذلك في النقش موضوع البحث شرحت ظ ر (أو ظ ي ر) على أنها تعبر عن عملية ذبح لعدد من النوق، في حين إن الفعل هـ ر ق موجود ومستعمل في النقوش الصفائية، مثلا: ل ش ر ب ن ن ش د ل ب ن ف ع رس وهـ رق هـ ع ن ق ت[9]. والفعل ذ ب ح هو أيضا مستخدم في النقوش ذاتها: ل ش د ع د ... و ذ ب ح ل ب ع ل س م ن[10]. ولكن في النقش وبنيت وهاردخ رقم ١٠٣١ لم يستخدم أي من هذين الفعلين للتعبير عن عملية الذبح.

أما ظ ي ر ت فقد فسرت بأنها حظيرة الحيوانات وذلك إستنادا إلى الكلمة السريانية ط ي ر ا وتعني "المربع" أو "الحظيرة"[11]. ولكن ص ي ر ت كما وردت معروفة في النقوش الصفائية: ل ظ ن ن ب ن ... هـ ص ر"[12] والتي ما زالت ماثلة في أماكن تواجد هذه النقوش، واحتوت المعاجم العربية على لفظة "صيرة" التي تعني "حظيرة من الحجارة وأغصان الشجر تتخذ للغنم" والجمع "صير"[13]. وعلى الرغم من هذه المحاولات لم يبحث عن الجذر المطلوب وهو "ظأر، ظير".

النقش: ل م ر ج د ب ن ز د ب ن ق د م و ظ ر هـ س ت ح ف ل ع ط ر ص هـ س هـ د ب و خ ر ص ف هـ ل ت س ل م

"لماجد بن زيد بن قدم وجعل النوق الست تقبل الحوار، والتي اجتمع الحليب بضرعها كثيرا فعَطَفَت على الحوار، صهس حلبها وراقب، فيا اللات سلّم"

م ج د: أمجدت الإبل نالت من الأكل ووقعت في مرعى كثير واسع، وإذا شبعت الغنم مجدت[14]. وتحولت دلالة هذه الكلمة إلى معنى جديد تفيد الكرم والبذل السخي[15]. اسم علم شائع[16].

ز د: اسم علم شائع ويمكن أن يقرأ "زيد" وهي الزيادة والنماء، والزيادة خلاف النقصان[17]. مصدره زاد الشيء يزيد زيدا[18]. الصيغة نفسها في الثمودية[19].

ق د م: اسم علم.

ظ ر: فعل ماض للأصل الثلاثي ظ ء ر ويعني "العطف والدنو"[20]. أصل الظئر الناقة التي تعطف على ولد غيرها فتدر عليه، ثم أطلقوه على المرأة التي ترضع ولد غيرها[21]. والظئر والظيرة في لهجة أهل البادية هي عملية إيهام الناقة وإرغامها وتعويدها على قبول حوار آخر غير وليدها الذي مات، ذلك أنه إذا مات أصيبت بحزن وهم يجعل حليبها يتوقف عن الدر، ويعالج البدو هذه الحالة بعملية "الظيرة"، فإذا قالوا: "ظيّر الناقة" فمعناه إجراء عملية فسيولوجية ونفسية للناقة بحيث تعتقد أنها ولدت حوارا جديدا، فتعود تدر الحليب، وتتم العملية عن طريق التضييق على الناقة وإثارتها حتى إيهامها بأنها تعاني من آلام الوضع مجددا، وعندما يبلغ هيجانها أشده، يأتون بحوار رضيع من إحدى النوق ويربطونه بحبل في رقبته، ويربط الطرف الآخر برقبة الناقة، فيتبع الحوار

"الظير والظيرة هي مفردات يعرفها أهل البادية وموجودة في لهجتهم وظأر أصل صحيح ويعني العطف (من عَطَف) حيث تعطف الناقة أو الناقتان وأكثر من ذلك على فصيل واحد حتى ترأمه أي "تطلبه" الناقة التي لا أولاد لها. والتظير هو عملية إيهام الناقة وإرغامها بعملية فسيولوجية على قبول وليد آخر غير وليدها. وظَيّرَت الناقة أي عَطَفت على غير ولدها".

٩. طلافحه ٢٠٠٠، ص ١٠٤. وبنيت وهاردخ يريا أن صاحب هذه النوق قام بذبحها بعد حلبها مع أنها تعطي الحليب الكثير وهذه ليس من عادة البدوي أن يقوم بذبح النوق التي تلد وتحلب بل الاهتمام بها والتفاخر بها.
١٠. (Littmann 1943)، نقش ٩٢٥.
١١. (Costaz 1963)، ص١٢٦ .
١٢. (Winnett 1957)، نقش ١٨١.
١٣. ابن منظور [١٩٥٥]، ج٤، ص ٤٧٨. إضافة إلى ذلك فقد عرفت لهجة أهل البادية الأردنية كلمة "هظر"، وتطلق على المكان الذي تسرح فيه الأغنام ويقولون الراعي "هظّر" الغنم إما للحلب أو للإطعام.
١٤. طلافحه ٢٠٠٠، ص١٨٣.
١٥. طلافحه ٢٠٠٠، ص ١٨٣.
١٦. (Harding 1971)، ص٥٢٨ .
١٧. ابن منظور [١٩٥٥]، ج٣، ص ١٩٨.
١٨. ابن دريد [١٩٥٨]، ص٢١.
١٩. الذيبب ٢٠٠٢، نقش ١٠، ص ٤٢.
٢٠. ابن فارس [١٩٩٠]، ج٣، ص ٤٧٣.
٢١. ابن هشام [١٩٣٦]، ج١، ص ١٨٠.

راكضا معها حيثما ذهبت، تلبث الناقة برهة ثم تدر الحليب من أثدائها، فيرشونه على الحوار فتستدير الناقة إليه وقد اعتقدت بان الآلام التي عانت منها كانت آلام ولادة حوار جديد لها فتبدأ بشمه وتحسسه بأنفها فتشم رائحة حليبها فتصدق انه ولدها، وإذا رضعها الحوار تكون قد قبلته ولدا لها وعادت لتدر الحليب ثانية، وقد يختبرون درجة قبولها للحوار بأن يلقوا عليه كلبا فإذا دافعت عنه علموا بأن العملية قد تمت بنجاح فيقال: "ركبت الناقة"، أي قبلته ولدا لها، وفي هذا يقول المثل: "إما اركبي وإلا العصا" ويضرب في الشيء يحدث رغما واغتصابا فإما القبول وأما الضرب بالعصا، ظأرا وهي ظؤورة إذا عطفتها على ولد غيرها، وفي لهجات شرق الجزيرة العربية يقال: "ظأرت الناقة"[٢٢]. وفي المثل البدوي يقولون "ظيرت الناقة على غير ولدها" وعملية تظئير الناقة جزء من الحياة البدوية[٢٣]. ويقول أهل البادية الأردنية "ظيرت الناقة" أي أجبرت على فصيل غيرها، وما زالت هذه الكلمة متداولة[٢٤].

ح ف ل: المعنى اجتماع اللبن في الضرع، وضرع حافل أي ممتلئ لبنا، والحفال اللبن المجتمع[٢٥]. والحفل والمحفل المجلس حيث تطور المعنى الدلالي لهذه الكلمة فانتقل المعنى من اجتماع الحليب في الضرع إلى معنى اجتماع الناس في المناسبات[٢٦].

ء ط ر: هناك لأطر العربية معنى عطف، أي حول وحنى[٢٧]. وفي الحقيقة أن المعنى الثانوي "حن" تطور من هذا المعنى الأصلي، وهو المطلوب في النص الصفائي وإن كان المعنى الأول يتناسب مع عملية إلزام الناقة على ولد غير ولدها والموصوفة تحت ظ ر.

ص هـ س: لا يوجد جذر لهذا الاسم في المعاجم العربية.

هـ د ب: وهدب الناقة يهدبها هدبا: "أحتلبها" والهدب ضرب من الحلب.

خ ر ص: حسب السياق "راقب" وهو المعنى الذي اتفق عليه دارسو النقوش.

ل ت: من الآلهة العربية المعروفة والأكثر ذكرا في النقوش الصفائية، دخل اسمها في العديد من الأسماء المركبة كـ "تيم اللات"، وقد جاء أسمها بصيغ مختلفة بالتعريف: *ءل ل ت، هـل ت وءل ت*، أي اللات، وهي إلهة أنثى يراد بها الشمس[٢٨].

س ل م: الأصل الثلاثي يفيد الصحة والعافية وكذلك السلام والتحية[٢٩]. والسلام بكسر السين هي الحجارة الصلبة سميت كذلك لسلامتها من الرخاوة والواحدة سَلِمَة وهي من لغات حمير[٣٠]. ورد في الثمودية على صيغة الفعل و *س ل م ت* بمعنى "نجت، سلِمت"، وكذلك على صيغة الاسم "سلام"[٣١]. وكاسم في النبطية *س ل م*[٣٢]، *س ل م و*[٣٣] وفي اللحيانية *س ل م*[٣٤].

٢٢. حنظل ١٩٧٨، ص ٣٩٢.
٢٣. حنظل ١٩٧٨، ص ٣٩٢.
٢٤. مقابلة مع عيادة الهتم، ١٩٩٨.
٢٥. ابن منظور [١٩٥٥]، ج١١، ص ١٥٦.
٢٦. طلافحه ٢٠٠٠، ص ١٧٤.
٢٧. أنظر ابن منظور [١٩٥٥]، ج٤، ص ٢٤.
٢٨. علي ١٩٧٠، ج١، ص ٣٢٣.
٢٩. ابن فارس [١٩٩٠]، ج٣، ص ٩٠.
٣٠. سلوم ١٩٨٧، ص ٢١٤.
٣١. مهباش ٢٠٠٣، ص ٨٨.
٣٢. الذيب ٢٠٠٢، نقش ١، ص ٣٥ .
٣٣. الذيب ٢٠٠٢، نقش ٣، ص ٣٧.
٣٤. أبو الحسن ٢٠٠٢، نقش ٣١٥.

المراجع

ابن دريد، أبو بكر
١٩٥٨ الاشتقاق: تحقيق وشرح عبد السلام هارون. الطبعة الثالثة. القاهرة: مكتبة الخفاجي.

ابن فارس، أبو الحسن
١٩٩٠ معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: دار احياء الكتب العربية.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين
١٩٥٥ لسان العرب. بيروت: دار صادر.

ابن هشام، محمد عبد الملك
١٩٣٦ السيرة النبوية. القاهرة: دار الفكر.

أبو الحسن، حسين بن على دخيل الله
٢٠٠٢ نقوش لحيانية من منطقة العلا: دراسة تحليلية مقارنة. الرياض: مكتبة الملك فهد.

الجندي، أحمد علم الدين
١٩٧٨ اللهجات العربية في التراث. تونس: الدار العربية للكتاب.

حنظل، فالح
١٩٧٨ معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة. أبو ظبي: منشورات وزارة الإعلام والثقافة.

الذييب،سليمان بن عبد الرحمن
٢٠٠٢ نقوش جبل أم جذايذ النبطية، دراسة تحليلية. الرياض: مكتبة الملك فهد.

٢٠٠٣ نقوش صفوية من شمالي المملكة العربية السعودية. الرياض: مؤسسة عبد الرحمن السديري.

سلوم، داود
١٩٨٧ المعجم الكامل في لهجات الفصحى. بيروت: مكتبة النهضة العربية.

صدقة، براهيم
٢٠٠٥ الفعل خرص دراسة جديدة. وقائع ملتقى اليرموك السنوي الثاني لدراسة النقوش والكتابات القديمة. اربد: جامعة اليرموك.

طلافحه، زياد
٢٠٠٠ لغة النقوش الصفوية وصلتها بلهجة أهل البادية الشمالية الأردنية، دراسة مقارنة. رسالة دكتوراه غير منشورة. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.

علي، جواد
١٩٧٦ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت: دار العلم للملايين.

مهباش، خالد
٢٠٠٣ مفردات النقوش الثمودية، دراسة دلالية: مقارنة في إطار اللغات السامية. رسالة ماجستير غير منشورة. الرياض: جامعة الملك سعود.

الهتم، عيادة
١٩٩٨ مقابلة مع عيادة الهتم، ٨٣ سنة، بلدة الصفاوي، من قبيلة المساعيد.

Costaz, L.
1963 Dictionaire Syriaque-Français, Syriac-English Dictionary. Beirut: Imprimerie Catholique.

Harding, G. L.
1971 An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions. Toronto:University of Toronto Press.

Littmann, E.
1943 Semitic Inscriptions from Syria. Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-1905 and 1909. Division IV, Section C. Lyeden: E. J. Brill.

Oxtoby, W.
1968 Some Inscriptions of the Safaitic Bedouins. New Haven: American Oriental Society.

Winnett, F. V.
1957 Safaitic Inscriptions From Jordan. Toronto: University of Toronto Press.

Winnett, F. V. and Harding, G. L.
1978 Inscriptions from Fifty Safaitic Carins. Toronto: University of Toronto Press.